

كليات الألفاظ القرآنية عند مقاتل في تفسيره دراسة نظرية تطبيقية

kuliyaat al'alfaz alquraniat eind muqatil
fi tafsirih dirasat nazariat altatbiqia

إعداد

م. د. محمد عاصم جبير عويد

Muhammad asim jubayr euayd

المديرية العامة لتربية الأنبار

al'iidarat aleamat litarbiat al'anbar

masim6625@gmail.com

07809822324

ملخص باللغة العربية

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على كليات الألفاظ القرآنية من خلال علم من أعلام التفسير وهو الإمام المفسر مقاتل بن سليمان، فكانت أهمية هذه الدراسة باعتبار تعلقها بعلم مهم من علوم القرآن وهو التفسير والثاني باعتبار اتصالها بعلم من أعلام التفسير حقق الريادة والأسبقية في الكتابة بهذا الموضوع، فعرفت به وبيئت مكانته في التفسير، ثم بينت المراد من كليات القرآن، وذكرت أهم صيغ التعبير عن الكليات اللفظية، وحررت منهجية مقاتل في تفسيره، وكيفية تناوله وتأصيله لهذه الكليات القرآنية، ثم عززت البحث بالدراسة التطبيقية، التي توضح أهمية هذا الموضوع، وأثره في بيان وتفسير كلام الله تعالى، وختمته بأهم النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية: كليات الألفاظ القرآنية عند مقاتل في تفسيره.

ملخص باللغة الإنكليزية

yahdif hadha albahth 'iilaa aldaw' ealaa kuliyaat al'alfaz alquraniat min khilal eilm min 'aelam altafsir wahu al'iimam almufasir muqatil bin sulayman, fafat 'ahamiyat hadhih al-dirasat biaietibar taaluqiha bieilm muhimin min eulum alquran wahu altafsir almuhtaram biaietibar aitisaliha bieilm min 'aelam altafsir yuhaqiq alriyadat wal'asbaqiat fi kitabat hadha almawduea. , faeurift bih wabayinat makanah fi altafsiri, thuma bayanat almaeani min kuliyaat alqurani, wadhakarat 'ahama siagh altaebir ean alkuliyaat allafziati, wahararat aietimad quat fi tafsirihi, wakayf wajabah wa'asilih lihadha alkuliyaat alquraniati, thuma eazazat albahth bialdirasat altatbiqati, alati 'athbatat 'ahamiyat hadha almawduei, wa'atharah fi bayan watafsir kalam allahi, wakhatmah bialnatayij alati wasalat 'iilayha.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن الاهتمام بالكليات القرآنية علمٌ شريف؛ لتعلقه بتفسير القرآن الكريم، والشيء يَشْرُفُ بِشَرَفِ مُتَعَلِّقِهِ، لذلك اعتنى به سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وعلمائنا الأبرار، فمنهم من تتبع ذلك فَحَصَّله، ومنهم من جَمَعَهُ فَدَوَّنَهُ، وفي هذا دليل على أهميته وقيمته، ومعرفة فضله، وقد اهتم المفسرون وعلماء القرآن بدراسة هذه الكليات في القرآن الكريم اهتماما كبيرا لما لها من أهمية في بيان الآيات القرآنية وتفسيرها وذلك بإبراز فائدتها وأهميتها، وباعتبارها علما من علوم القرآن الكريم، كما أن معرفة الكليات، تُعين المُفسِّر في تفسيره، بل قد تكون وسيلة من وسائل الترجيح بين أقول المفسرين إذا تَعَدَّدَت، وقد تكون طريقة في الوصول إلى المعاني الصحيحة للآيات القرآنية، وقد كان لمقاتل بن سليمان رحمه الله منهجه الرصين فيما أصله في موضوع الكليات القرآنية وقد حقق الأسبقية والريادة فيما سطره في موضوع الكليات، ولأهمية هذا الموضوع في الدرس التفسيري كان هذا البحث لإلقاء الضوء على كليات الألفاظ القرآنية من خلال علم من أعلام التفسير وهو الإمام المفسر مقاتل بن سليمان، فكانت أهمية هذه الدراسة باعتبارين الأول تعلقها بعلم مهم من علوم القرآن والثاني باعتبار اتصالها بعلم من أعلام التفسير حقق الريادة والأسبقية في الكتابة بهذا الموضوع، وهذا مما شجعني على اختيار هذا الموضوع في هذه الدراسة، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم بعد هذه المقدمة كما يلي:

- المبحث الأول: التعريف بمقاتل بن سليمان ومكانته في التفسير.
- المبحث الثاني: تعريف الكليات لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثالث: صيغ التعبير عن الكليات اللفظية.
- المبحث الرابع: منهج مقاتل التأصيلي للكليات في تفسيره.
- المبحث الخامس: الدراسة التطبيقية، وذكرت فيه كل الكليات التي ساقها مقاتل في تفسيره، مرتبا المواد على ترتيب المعجم من غير اعتبار «ال» التعريف، وعززت تلك الكليات بالأمثلة القرآنية.

ثم ختمت البحث بخاتمة - نسأل الله حُسْنَهَا - لخصت فيها ما توصلت إليه من نتائج، ثم ذكرت ما رجعت إليه من المصادر والمراجع، وأخيرا أسأل الله تعالى أن يلقي هذا البحث قبولا حسنا لدى قارئه، وأن ينفع به، إنه سميع قريب مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله العالمين.

'iina alhamd lilah nahmadah wanastaeinuh wanastaghfiruhu, wanaeudh biallah min shurur, wamin sayiyaat 'aemalinaa, man yahuduh allah fala mudila lah waman yudlil fala hadi lah, wa'ashhad 'an la alih ala allah wa'ashhad 'ana mhmadaan eabduh warasuluhu. 'amaa baeda: fa'iina aliahtimam bialkuliyaat alquraniat elm sharifun; limutaealiqih bitafsir alquran alkarimi, walshay' yashruf bisharafit ealaqih, lidhalik aetanaa bih salafuna alsaalih min alsahabat waltaabiein waeilimna al'abrar, faminhum man tatabae dhalik fahasalah, waminhum man jamaeah fadaw fihi, wafi hadha dalil ealaa 'ahamiyatih waqimatihi, waqad yuerif fadluhu, waqad aihtama almufasirun waeulama' alquran bidirasat hadhih alkulyati. fi alquran aihtimaman kabiran lima laha min 'ahamiyat fi bayan alayat alquraniat watafsiriha wadhalik bi'iibraz fayidatiha wa'ahamiyatiha, wabiaietibariha eilim min eulum alquran alkarimi, kama 'ana maerifat alkilyati, tueyn almufasir fi tafsirihi, bal qad takun wasilatan min wasayil altarjih bayn 'aqul almufasirin 'iidha teadat, waqad takun tariqat fi alwusul 'iilaa almaeani alsahih lilayat alquraniati, waqad kan limuqatil bin sulayman rahimah allah manhajuh alrazin 'asluh fi mawdue alkuliyaat alquraniat waqad haqaq al'asbaqiat walriyadat fima sataruh fi mawdue alkulyati, wali'ahamiyat hadha almawdue fi aldars altafsirii kan hadha albahth liliqa' aldaw' ealaa kuliyaat al'alfaz alquraniat min khilal aleilm min 'aelam altafsir wahu al'iimam almufasir almuqatil bin sulayman, fa'ahamiyat hadhih aldirasat bialhukmayn al'awal yataealaquha bieilm muhimin min eulum alquran almustakhdim biaetibar atisaliha bieilm min 'aelam altafsir haqaq alriyadat walmusbaqat fi hadha almawduea, mimaa shajaeani ealaa aikhtiar hadha almawdue fi hadhih aldirasa alquran almuetaamad biaetibar atisaliha bieilm min 'aelam altafsir haqaq alriyadat walmusbaqat fi kitabat hadha almawduea, mimaa shajaeani ealaa aikhtiar hadha almawdue fi hadhih aldirasati, waqad aiktasabat tabieat albahth 'an yuqsam baed hadha almawdue kama yali:

- almabhath al'awala: altaerif bimukatil bn sulayman wamakanatih fi altafsiri.
- almabhath althaani: taerif alkuliyaat lughat wastilaha.
- almabhath althaalithi: siagh altaebir ean alkuliyaat allafziati.

- almabhath alraabieu: manhaj alqital al'asil lilkuliyaat fi tafsirihi.

- almabhath alkhamisu: aldirasat altatbiqiatu, wadhakarati fih kulu alkuliyaat alati kha-daeaha almuqatil fi tafsirihi, muratiban almawada ealaa altartib almuejam min ghayr da-rajati alaitiman "al" altaerifi, waeazazati tilk alkuliyaat bial'amthilat alquraniati. thuma khutamat albahth bikhatimat nas'al allah husnha lakhisat fiha ma tawasalat 'iilayh min natayija, thuma dhakar ma marjieah min almasdar walmarajie, wakhayan 'asal allah 'an yastamida hadha albahth yqblan hsnan eind qariihi, wa'an yanfae bihi, 'iinah samie qarib mujibaa wasalaa allah ealaa sayidina muhamad waealaa alah sahbuh 'ajmaein, wa'ade-awana 'ana alhamd lilah alealamina.

المبحث الأول

التعريف بمقاتل بن سليمان ومكانته في التفسير

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: التعريف بمقاتل بن سليمان

مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن البلخي، الأزدي بالولاء الخراساني المروزي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحَدَّث بها، وكان مشهوراً بالتفسير وله معرفة تامة بتفسير القرآن الكريم، وله التفسير المشهور. وقد وصفه الذهبي بأنه "كبير المفسرين"^(١)، وحكي عن الشافعي أنه قال: "الناس كلهم عيال على مقاتل في التفسير"^(٢)، وأما في الحديث والرواية فقد اختلف العلماء في أمره، فمنهم من وثقه في الرواية، ومنهم من نسبته إلى الكذب، وبالجمله فإن الكلام في حقه كثير، وقد أخرج عن المقصود إن أردت ذكر اختلاف أقاويل العلماء في شأنه، توفي سنة خمسين ومائة للهجرة بالبصرة، رحمه الله تعالى^(٣).

المطلب الثاني: مكانة مقاتل بن سليمان في التفسير

لم يختلف العلماء في شخصية علمية كاختلافهم في مقاتل بن سليمان فمنهم من أشاد به، ورفع من قدره، وأعلى من منزلته، ومنهم من صوّب إليه سهام النقد، فقلل من قيمته، وخط من منزلته، والمتتبع لآراء المادحين، والناقدين يعجب كل العجب، لأن الذين مدحوه رجال لهم وزنهم العلمي، ومكانتهم العلمية والدينية في عصرهم، وكذلك الذين وجّهوا إليه أصابع الاتهام ورموه بالضعف في الرواية، والتفسير بلا سند هم رجال لا يقلّون مكانة عن أولئك المادحين، وبالمقارنة بين هذه الآراء نجد أن الاختلاف بين المادحين والناقدين يرجع إلى طريقة التفكير السائدة في تلك الفترة من التاريخ، فقد كان التقيّد بالرواية، والاعتماد على السند، والمحافظة على القيم العلمية السائدة سمة من سمات هذا العصر، فلا قول إلا بسند، ولا خبر إلا برواية، ولا

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٧/ ٢٠١.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد: ١٥/ ٢٠٧، ووفيات الأعيان: ٥/ ٢٥٥.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد: ١٥/ ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء: ٧/ ٢٠١، ووفيات الأعيان: ٥/ ٢٥٥.

رأيي إلا بنصّ، ويبدو أن مقاتلا رحمه الله لم يلتزم بهذا المنهج، ولم يفرض على نفسه الالتزام بما هو سائد في عصره^(١).

وإن المتتبع لجهود علمائنا الأقدمين في هذا العلم التخصصي يجد لهم جهودا قيمة، وأيادي علمية مشرقة وقد تعددت المواضيع القرآنية التي ألفوا فيها فمنها ما وصل إلينا، ومنها الذي لا يزال حبيسا بين جدران المكتبات وظلامها الدامس ومنها الذي فقد ولم نعلم عنه إلا من خلال الكتب العلمية أو الثبت العلمي لصاحبها، ومن تلك العلوم علم التفسير الذي يعتبر من أهم العلوم الشرعية التي اعتنى بها العلماء الأقدمون جمعا ودراسة وترتبا واستنباطا وجالوا فيه وصالوا، وكان من فرسان ميدانه، الإمام العالم مقاتل بن سليمان الأزدي (ت ١٥٠ هـ) حيث ألف فيه تفسيره الشهير^(٢).

وعلم التفسير من أهم العلوم التي برز فيه مقاتل، فقد كان درة عصره في هذا المجال، مما حدا بالأئمة والعلماء الشاء عليه، ولقد عرف له هذه المكانة رجال العلم في عصره، وما بعد عصره، ومن عبارات المدح التي ساقها العلماء، وأشادوا فيها بمقاتل ما يلي:

قال عبد الله بن المبارك- حين رأى تفسير مقاتل-: "يا له من علم لو كان له اسناد"^(٣).

وقال ابن المبارك- أيضا: "ما أحسن تفسيره لو كان ثقة"^(٤).

وقال الإمام الشافعي: "من أراد ان يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان"^(٥).

وقال عباد بن كثير ما بقي احد اعلم بكتاب الله من مقاتل^(٦).

وقال بقرية: "كنت كثيرا اسمع شعبة وهو يسأل عن مقاتل بن سليمان فما سمعته قط ذكره الا بخير"^(٧).

هذه هي معظم الآراء التي قيلت في مجال الإشادة بمقاتل، وفي المقابل هناك بعض العبارات التي صدرت من الفريق الآخر، وهي عبارات تحطّ من قدره، ومن منزلته العلمية، ولست بصدد الترجيح والموازنة بين الاتجاهين فإن نظرة فاحصة لمصنفات مقاتل يتبين لنا أن الرجل كان متبحرا

(١) ينظر: المشترك اللفظي في الحقل القرآني: ٤٣-٥٢

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: ١٤

(٣) تهذيب الكمال: ٢٨ / ٤٣٧.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٧ / ٢٠١.

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٦٠ / ١١٧.

(٦) تاريخ بغداد: ١٥ / ٢٠٧.

(٧) تهذيب الكمال: ٢٨ / ٤٣٥.

في تفسير القرآن الكريم، واستيعاب كبير لمعانيه، ومعرفة كاملة بناسخه ومنسوخه وبأسباب نزوله الذي يكشف الغطاء عن معنى الكلمة القرآنية ذات المعنى المتعدد، وقد ساعد مقاتلا على هذا ما كان يتمتع به من ذكاء وقاد ومعرفة واسعة بكل ما يحتاج اليه المفسر لكلام الله تعالى، فله معرفته الواسعة باللغة وعلومها ومفرداتها وتراكيبها، والدلالة وتطورها، ودراية بالبلاغة وفنونها من البيان والمعاني والبديع، ومعرفة بالقواعد الأصولية، كالعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتبيين ودلالة الأمر والنهي، ومعرفته بالعقائد والإلهيات وما يتفرع عنها واحكامها، ومعرفة بالقراءات والتجويد والنحو والشعر القديم. وبالجمله فقد استكمل مقاتل جميع العلوم التي يحتاجها المفسر واستطاع ان يستثمرها جميعا في تفسيره، وإذا كان لمقاتل هذا الرصيد من العلوم فبدون شك كان هذا العلم في زمن مبكر مصدرا لكل المعارف القرآنية التي حواها تفسيره، ومع احاطته بهذه العلوم والمعارف، فقد أفرد بعض تلك العلوم بالتصنيف وخاصة ما له تعلق كبير بعلم التفسير^(١). ومن أمثلة ذلك:

١- نوادر التفسير.

٢- الناسخ والمنسوخ.

٣- "تفسير الخمسمائة آية في الأمر والنهي والحلال والحرام « جعل ترتيبه على طريقة الفقهاء- رحمهم الله- في تأليفهم، بدأه بتفسير الإيمان، ثم ذكر أبواب الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم المظالم، ثم الموارث، ثم الربا، ثم الخمر، ثم النكاح، ثم الطلاق، ثم الزنا، ثم ذكر بعض الآداب والمعاملات في دخول البيوت، ثم ذكر أبواب الجهاد.

٤- كتاب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم^(٢).

وقد ذكر هذا السيوطي في الإثقان^(٣)، تحت عنوان الوجوه والنظائر: "صنف فيها قديما مقاتل بن سليمان".

ويعتبر مقاتلا إماما من أئمة التفسير باعتبار أن تفسيره يعد أقدم تفسير كامل لكل آيات القرآن الكريم وصل ألينا، وهذه منقبة لا ينازع عليها، وتفسير مقاتل قد جمع فيه مصنفه بين نوعي التفسير من المأثور والمعقول، وهذا قد ظهر واضحا جليا في كل صفحة من صفحاته، ونلاحظ أن الشاء على مقاتل يتجه الى الجانب العقلي من تفسيره للقرآن الكريم، أما في جانب الحديث والرواية

(١) ينظر: المشترك اللفظي في الحقل القرآني: ٩٣.

(٢) ينظر: مقدمة تفسير مقاتل: ٥ / ٥٩، والمشارك اللفظي في الحقل القرآني: ٩٣.

(٣) ١٤٤/٢.

فمقاتل مختلف فيه عند أئمة الحديث، رغم انه قد مر بنا ثناء بعض الائمة على مقاتل، كالإمام الشافعي وشعبة، وعبدالله بن المبارك، وعباد بن كثير، وغيرهم. غير ان هذا الثناء على مقاتل ليس معناه توثيق مقاتل في باب الرواية، بل هو مدح لعلمه في التفسير. بيد ان ضعفه في باب الرواية، لا يمنعنا ان نستفيد بما خلفه من تراث في التفسير، شريطة ان نكون حذرين في قبول الأحاديث التي يوردها، فلا نقبلها الا بعد التثبت من صحتها، أما الجانب العقلي في تفسير مقاتل فهو البحر الزاخر، وهو فيه سابق غير مسبوق، ولو اهملنا تفسير مقاتل فإننا بذلك نهمل جانباً مهماً من تراثنا الفكري والحضاري، بل نهمل أول نتاج للتفسير العقلي، في وقت تتسابق فيه الأمم الى الاعتزاز بماضيها، والى احياء تراثها^(١).

إن اختلاط العقل بالنقل قد ظهر واضحاً في تفسير مقاتل، فمن جهة النقل يعتمد مقاتل في تفسيره على جمع الآيات المتصلة بموضوع واحد، ويورد الأحاديث المتعلقة بالآية بعد ان يحذف أسانيدها، ولذلك اختلط الصحيح بالعليل في تفسيره، وظهرت فيه إسرائيليات اهل الكتاب بصورة واضحة، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فظهرت في هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدّوا هذه الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارى، فحشوا التفسير بكثير من القصص الإسرائيلية المتناقضة، ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان الذي استقى من علوم اليهود والنصارى، خصوصاً حول الأنبياء السابقين الذين عصم الله ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بأمر منهى عنه^(٢).

واعتماد مقاتل في تفسيره على الاسرائيليات من ابرز العيوب المنسوبة إليه الى جوار حذفه للأسانيد في وقت مبكر، كان الرواة يهتمون فيه كثيراً بالأسانيد، والى جوار هذه العيوب التي لصقت بمقاتل، نجد له عبقرية تصل بصاحبها الى ادراك اسمى المعاني وأعلاها، وهو يفسر كتاب الله في سهولة ويسر، ولذا حظى تفسيره بإعجاب المعجبين وثناء الائمة الاعلام، فشهادة الامام الشافعي لمقاتل بان الناس عيال عليه في التفسير^(٣)، شهادة لها قيمتها واعتبارها، لصدورها عن الشافعي وهو من هو^(٤).

(١) ينظر: مقدمة تحقيق تفسير مقاتل: ٧٠/٥.

(٢) ينظر: مقدمة تفسير مقاتل: ٥٩/٥.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١٧/٦٠.

(٤) ينظر: مقدمة تفسير مقاتل: ٦٠/٥.

المبحث الثاني تعريف الكليات لغة واصطلاحاً

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: تعريف الكليات لغة

الكليات جمع الكلية، وهي مأخوذة من كلمة الكل: وهي كلمة تستعمل بمعنى الإحاطة، أو الاستغراق بحسب المقام كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، وقول النبي ﷺ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))^(٢)، وقد تستعمل بمعنى الكثير كقوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾^(٣)، أي كثيراً لأنها إنما دمرتهم ودمرت دورهم ومساكنهم دون غيرهم، ولا تستعمل إلا مضافاً لفظاً أو تقديراً كقوله تعالى: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٤)، والمعنى كله يجري، كما تقول كل منطلق أي كلهم منطلق وعلى هذا فهو في تقدير المعرفة، وقالت العرب مررت بكل قائماً بالنصب على الحال-، والتقدير بكل أحد، ولفظ «كل» واحد ومعناه الجمع، فيجوز أن يعود الضمير على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى، فيقال: كل القوم حضر وحضروا، ويفيد التكرار بدخول «ما» عليه كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾^(٥)، دون غيره من أدوات الشرط ويكون للتأكيد فيتبع ما قبله في إعرابه^(٦).

المطلب الثاني: تعريف الكليات اصطلاحاً

لا يختلف معنى الكليات في الاصطلاح عن معناه في اللغة، وقد عرفت بتعريفات متقاربة المعنى وإن اختلفت الألفاظ، ومن تلك التعريفات:

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٨٢.

(٢) أخرجه مسلم صحيحه: ٣/ ١٤٥٩ (١٨٢٩) (٢٠).

(٣) سورة الأحقاف من الآية: ٢٥.

(٤) سورة الرعد من الآية: ٢.

(٥) سورة آل عمران من الآية: ٥.

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١٢٢ (كل)، والمصباح المنير: ٢/ ٥٣٨، والتعريفات: ١٨٦.

عرفها أبو البقاء الكفوي بقوله: «والكلية: هي الحكم على كل فرد نحو كل بني تميم يأكلون الرغيف»^(١).

وقيل: «ما يطلقه بعض المفسرين على لفظ أو أسلوب بأنه يأتي في القرآن على معنى مطرد»^(٢). أو «هو ورود لفظ في القرآن على معنى أو طريقة مطردة أو أغلبية»^(٣).
والتعريفان الثاني والثالث يراد بهما خصوص الكليات القرآنية وهما الأنسب لموضوع بحثنا دون الأول فإنه يراد به العموم.

(١) الكليات: ٧٤٥.

(٢) كليات الألفاظ في التفسير: ٢٦/١.

(٣) المصدر نفسه.

المبحث الثالث صيغ التعبير عن الكليات اللفظية

إن المتأمل في كلام العلماء والمفسرين يجد أنهم يستعملون صيغا متعددة في التعبير عن الكليات بأنواعها المختلفة وفيما يلي بيان لأشهر صيغ التعبير عن الكليات وأكثرها استعمالا وهي:

- ما صدر بلفظ «كل»، كقولهم: «كل ما في القرآن» أو «كل شيء في القرآن»، أو نحوها من العبارات^(١). وهذه الصيغة الوحيدة التي استعملها مقاتل في بيان كليات الألفاظ في تفسيره عدا موضع واحد فإنه عبر عنه بطريقة الاستقراء والحصر كما سيأتي^(٢).

ومن أمثلة ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه: «كل شيء في القرآن أليم فهو الموجع»، وقوله: «كل شيء في القرآن قتل فهو لعن»^(٣).

- الألفاظ الدالة على العموم ومن أشهر تلك التعابير:

١. حيث ورد في القرآن.
 ٢. حيثما جاء في القرآن.
 ٣. أينما ورد في القرآن ونحوها من العبارات.
- ومن أمثلة ذلك قولهم: معنى (الملا): حيثما ورد في القرآن فهم الأشراف والوجوه الذين يملأون العين والقلب^(٤).

- عبارة: «جميع ما في القرآن»، ومن أمثلة ذلك قولهم: «إن جميع ما في القرآن من (لعل)، فإنها للتعليل إلا قوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾^(٥)»^(٦).

(١) ينظر: كليات الألفاظ في التفسير: ٤٠/١.

(٢) ينظر: مبحث الدراسة التطبيقية.

(٣) ينظر: الإتيان في علوم القرآن: ١٦١/٢.

(٤) ينظر: معترك الأقران: ٣٠٤/٢، وكليات الألفاظ في التفسير: ٤٠/١.

(٥) سورة الشعراء الآية: ١٢٩.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٩٤/٤، ومعترك الأقران: ٣٠٤/٢، وكليات الألفاظ في التفسير: ٤٠/١.

- عبارة «عامّة ما في القرآن»، ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(١)، يعني مطيعين، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾^(٢)، يعني المطيعين لله والمطيعات، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣)، من يطع. وكذلك عامّة ما في القرآن^(٤).

(١) سورة البقرة الآية: ٢٣٨.

(٢) سورة الأحزاب من الآية: ٣٥.

(٣) سورة الأحزاب من الآية: ٣١.

(٤) ينظر: التصاريغ لتفسير القرآن: ١٤٧، وكليات الألفاظ في التفسير: ٤٠/١.

المبحث الرابع منهج مقاتل التأصيلي للكليات في تفسيره

لقد كان لمقاتل رحمه الله منهج فيما يؤصله من كليات سار عليها في تفسيره تتلخص فيما يلي:

- استخدام صيغة واحدة في التعبير عن كل الكليات في التفسير، وهي تصدير العبارة بكلمة (كل)^(١)، الدالة على العموم، وغالبا ما تكون العبارة بلفظ: (كل شيء في القرآن)، كما في قوله: :
”كل شيء في القرآن كأس فهو الخمر”^(٢). وقد يخالف ذلك، كما في قوله: “كل غليظ في القرآن يعني به الشديد”^(٣).

- لم يسلك ترتيبا مخصوصا في ترتيب الكليات، بل هي منثورة في ثنايا تفسيره وحسب الحاجة إلى ذكرها.

- غالبا ما يذكر الكلية بلفظها القرآني، كما في قوله: ”وكل شيء في القرآن تسأموا يعني تملوا”^(٤). وربما خالف كما في قوله: ”كل من يموت من عذاب أو سقم أو قتل، فهو مصعوق”^(٥)، فإن لفظة مصعوق ليست لفظا قرآنيا بل هو من الاشتقاقات اللفظية الموجود أصلها في القرآن.
- نادرا ما يتعرض لذكر الأمثلة بعد ذكره الكلية، ومن أمثلة ذلك قوله: “وكل شيء في القرآن” وما أدراك، فقد أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وكل شيء في القرآن، ”وما يُدريك“ فما لم يخبر به، ففي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(٧)، فلم يدره، ولم يخبره بوقت الساعة، أما في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٨)، ثم أخبر عنها

(١) باستثناء موضع واحد كما سبق الإشارة إليه وسيأتي.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٨ / ٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٥ / ١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٩ / ١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٧ / ٣.

(٦) سورة الأحزاب الآية: ٦٣.

(٧) سورة الشورى الآية: ١٧.

(٨) سورة القارعة الآيات: ٣-١.

فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(١)، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾^(٣) (٤).

- إنه يذكر بعض الألفاظ من الكليات فإن كان لها مستثنيات ذكرها، كما في قوله: "كل شيء في القرآن فلولا: فهلا إلا ما في يونس وهود"^(٥).

- يذكر مقاتل بعض الكليات وليس لها الا مثال واحد وربما لم تتكرر الا مرة واحدة في كل القرآن، وأساس الكلية مبناه على التعدد.

ومن أمثلة ذلك قوله: "كل شيء ينبسط مثل القرع والكرم والقثاء والكشوت ونحوها فهو يسمى يقطيناً"^(٦)، ولم ترد لفظة اليقطين في كل القرآن الا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾^(٧).

- اطلق مقاتل بعض كليات الألفاظ القرآنية بمعنى معين، وعند التدقيق في الأمثلة تجدها لا تخلو من نظر، ومن ذلك قوله: "كل شيء في القرآن فلولا: فهلا إلا ما في يونس وهود"^(٨). وعند تتبعي لأمثلة هذه الكلية، وجدت هناك بعض الالفاظ لا تدخل تحت القاعدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِئْلَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١٠)؛ وذلك لأن (لولا) قد تكون حرف امتناع لوجود، أي يمتنع الشرط لوجود الجواب، وقد تكون حرف تحضيض وعرض، فإذا كانت «لولا» من القسم الأول، فلا تكون بمعنى «هلا» كما في الآيتين، وإنما هي حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، وإنما تكون «لولا» بمعنى «هلا»، إذا كانت بمعنى التحضيض والعرض، وذكر البعض أنها تكون نافية بمنزلة (لم)، وجعل منه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا

(١) سورة القارة الآيتان: ٤-٥.

(٢) سورة الطارق الآيتان: ٣٢.

(٣) سورة البلد الآية: ١٢-١٣.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٨١١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢ / ٦٧٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٦٢١.

(٧) سورة الصافات الآية: ١٤٦.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢ / ٦٧٧.

(٩) سورة البقرة الآية: ٦٤.

(١٠) سورة الصافات الآيتان: ١٤٣ - ١٤٤.

إِيْمَنْهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ^(١)، والظاهر أن المعنى على التوبيخ، أي فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك، ويؤيده قراءة أبي وعبد الله : ((فهلّا كانت))، ويلزم من هذا المعنى النفي لأن التوبيخ يقتضي عدم الوقوع^(٢).

(١) سورة يونس من الآية: ٩٨.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٣٦٣، وإعراب القرآن وبيانه: ١/١١٧ و ٣/١١٣ و ٨/٣١٢.

المبحث الخامس الدراسة التطبيقية

- ((أليس))، قال مقاتل: « كل شيء في القرآن: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾، يقول «أنا الله»^(١).
- وقد جاءت في القرآن أربع مرات: مرة في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(٢)، ومرتين في سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾^(٣)، ومرة في سورة التين وهي قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾^(٤).
- ((البرية))، قال مقاتل: « وكل شيء خلق من التراب فإنه يسمى البرية »^(٥).
- وقد تكرر هذا اللفظ مرتين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٦).
- ((تسأموا))، قال مقاتل: « وكل شيء في القرآن تسأموا يعني تملوا »^(٧).
- وقد ورد هذا اللفظ مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾^(٨).
- ((الرجعة))، قال مقاتل: « ولا تسأل الرجعة كل نفس في القرآن إلا كافرة »^(٩).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥٢ / ٤.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٥٣.

(٣) سورة الزمر الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(٤) سورة التين الآية: ٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨١ / ٤.

(٦) سورة البينة الآيتان: ٦ - ٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٩ / ١.

(٨) سورة البقرة من الآية: ٢٨٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠ / ٢.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

- ((سبحان الله))، قال مقاتل: "سُبْحَانَ اللَّهِ كل شيء في القرآن تنزيه نزه نفسه من السوء إلا أول بني إسرائيل: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾"^(٣)، يقول عجب، و﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾"^(٤)، يعني عجب الذي خلق الأزواج، وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾"^(٥)، يقول صلوا لله"^(٦).

ومن الأمثلة بمعنى تنزيه الله، قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾"^(٧)، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"^(٨)، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"^(٩).

- ((سيناء))، قال مقاتل: «كل جبل لا يحمل الثمر، لا يقال له سيناء»^(١٠).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْكَالِينِ﴾"^(١١).

- ((صحفا))، قال مقاتل: «وكل شيء فيه كتاب فإنه يسمى صحفا»^(١٢).

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَشَّرَةً﴾، وقوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾"^(١٣)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾"^(١٤)، وقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ

(١) سورة المؤمنون الآية: ٩٩ - ١٠٠.

(٢) سورة المنافقون الآية: ١٠ - ١١.

(٣) سورة الإسراء من الآية: ١.

(٤) سورة يس من الآية: ٣٦.

(٥) سورة الروم من الآية: ١٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٢٨٧.

(٧) سورة المؤمنون من الآية: ٩١، وسورة الصافات من الآية: ١٥٩.

(٨) سورة القصص من الآية: ٦٨.

(٩) سورة الطور من الآية: ٤٣، وسورة الحشر من الآية: ٢٣.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٧٥١.

(١١) سورة المؤمنون الآية: ٢٠.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٧٨٠.

(١٣) سورة البينة الآية: ٢.

(١٤) سورة النجم الآية: ٣٦.

مُكْرَمَةً ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ﴿٢﴾.

((الغليظ))، قال مقاتل: "كل غليظ في القرآن يعني به الشديد" ﴿٣﴾.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ﴿٤﴾، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ﴿٦﴾، وقوله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٧﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَنَنبِتَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٨﴾.

- ((كأس))، قال مقاتل: "وكل شيء في القرآن كأس فهو الخمر" ﴿٩﴾.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ﴿١٠﴾، وقوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأَنِيمٌ﴾ ﴿١١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ ﴿١٢﴾.

- ((كأس))، قال مقاتل: "كل شراب في الإناء ليس بخمر، فليس هو بكأس" ﴿١٣﴾.

قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُ مَا تُقَدِّرُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ ﴿١٤﴾.

فبناء على هذه القاعدة والتي قبلها، أن أهل الجنة بمقتضى هذه الآية يسقون الخمر، أما الطواف عليهم بالآنية والأكواب فهو شراب غير الخمر.

(١) سورة عبس الآية: ١٣.

(٢) سورة الأعلى الآية: ١٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١ / ٣٦٥.

(٤) سورة آل عمران من الآية: ١٥٩.

(٥) سورة هود من الآية: ٥٨.

(٦) سورة إبراهيم من الآية: ١٧.

(٧) سورة لقمان الآية: ٢٤.

(٨) سورة فصلت الآية: ٥٠.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٢١٨.

(١٠) سورة الإنسان الآية: ٥.

(١١) سورة الطور الآية: ٢٣.

(١٢) سورة الإنسان الآية: ١٧.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٥٢٨.

(١٤) سورة الإنسان الآيات: ١٥-١٧.

- ((لَأَرْجُمَنَّكَ))، قال مقاتل: " وكل شيء في القرآن لأرجمنك يعني به القتل غير هذا ^(١) " ^(٢).
ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة يس: ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٣).
- ((لولا))، قال مقاتل: « كل شيء في القرآن فلولا: فهلا إلا ما في يونس وهود ^(٤) ». يشير إلى قوله تعالى من سورة يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ^(٥)، وإلى قوله تعالى من هود: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ مُجَرِّمِينَ﴾ ^(٦). فمعنى " فلولا كان " في الآية، يعني لم يكن من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد ^(٧).
ينهون عن الفساد ^(٨).

ومن أمثلة الآيات التي جاءت فيها «فلولا» بمعنى «هلا»، قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ ^(١١)، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا إِلَهًا بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ ^(١٢).

- ((ما أدراك))، قال مقاتل: " وكل شيء في القرآن "وما أدراك"، فقد أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وكل شيء في القرآن، "وما يذكرك" فما لم يخبر به ^(١٣).

(١) يعني قوله تعالى في سورة مريم.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢ / ٢٤٩.

(٣) سورة يس الآية: ١٨.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢ / ٦٧٧.

(٥) ينظر ما سبق في المبحث الرابع.

(٦) سورة يونس الآية: ٩٨.

(٧) سورة هود الآية: ١١٦.

(٨) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢ / ٣٠١.

(٩) سورة الأنعام الآية: ٤٣.

(١٠) سورة التوبة الآية: ١٢٢.

(١١) سورة الزخرف الآية: ٥٣.

(١٢) سورة الأحقاف الآية: ٢٨.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٨١١.

ففي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(٢)، فلم يدره، ولم يخبره بوقت الساعة، أما في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَزْدَرِكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٣)، ثم أخبر عنها فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(٤)، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَزْدَرِكَ مَا الطَّارِقُ التَّجَمُّ الثَّاقِبُ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَزْدَرِكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُ رَقَبَةً﴾^(٦)، وغير ذلك من الأمثلة^(٧).

- ((ما في السماوات))، قال مقاتل: "إذا قال: "ما في السماوات"، يعني من الملائكة وغيرهم وكل شيء في السماء، والأرض، والجبال، والأشجار، وكل شيء في الأرض. وإذا قال: "من في السموات" يعني كل ذي روح من الملائكة، والادميين، والطير، والوحوش، والدواب، والسباع، والهوام، والحيتان في الماء، وكل ذي روح أيضا"^(٨).

- ((المصعوق))، قال مقاتل: "كل من يموت من عذاب أو سقم أو قتل، فهو مصعوق"^(٩). ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْغَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْغَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾^(١١)، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْغَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(١٢).

(١) سورة الأحزاب الآية: ٦٣.

(٢) سورة الشورى الآية: ١٧.

(٣) سورة القارعة الآيات: ١-٣.

(٤) سورة القارعة الآيتان: ٤-٥.

(٥) سورة الطارق الآيتان: ٢-٣.

(٦) سورة البلد الآية: ١٢-١٣.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٨١١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٤٧٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٧٣٧.

(١٠) سورة البقرة الآية: ٥٥.

(١١) سورة النساء من الآية: ١٥٣.

(١٢) سورة الذاريات الآية: ٤٤.

- ((معين))، قال مُقَاتِلُ: "وكل معين في القرآن فهو جار غير الذي في قوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(١)، يعني به زمزم، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(٢)، يعني ظاهرا تناله «الدلاء»^(٣).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾^(٤)، وكذا قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾^(٥).

- ((النخيل))، قال أبو محمد: قال الفراء: "كل شيء من النخيل سوى العجوة فهو اللين"^(٦). ولم ترد لفظة لين في كل القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٧)، أما كلمة نخيل فقد تكررت أربع مرات، منها قوله تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٨)، وكذا قوله تعالى: ﴿أَوْتَكُونَتْ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحُشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾^(١١)، وجاءت بلفظ النخل أربع مرات وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾^(١٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا صُلْبٌ لَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾^(١٣)، وقوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَجْنَاظُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾^(١٤)، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَجْنَاظُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(١٥).

(١) سورة الملك من الآية: ١.

(٢) سورة الملك الآية: ٣٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٧/٤.

(٤) سورة الصافات الآية: ٤٥.

(٥) سورة الواقعة الآيتان: ١٧ ١٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٧/٤.

(٧) سورة الحشر الآية: ٥.

(٨) سورة البقرة من الآية: ٢٦٦.

(٩) سورة الإسراء الآية: ٩١.

(١٠) سورة المؤمنون الآية: ١٩.

(١١) سورة يس الآية: ٣٤.

(١٢) سورة الأنعام الآية: ٦٥.

(١٣) سورة طه من الآية: ٧١.

(١٤) سورة القمر من الآية: ٢٠.

(١٥) سورة الحاقة من الآية: ٧.

- ((هل أتاك))، قال مقاتل: «كل شيء في القرآن «هَلْ أَتَاكَ» يقول: قد أتاكَ»^(١).
- ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَشِيَةِ﴾^(٥).
- ((واردون))، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: لِلْوُرُودِ: فِي الْقُرْآنِ أَرْبَعَةٌ مَوَاضِعٌ يَعْنِي بِهِ الدُّخُولُ: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٦)، يعني داخلها، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^(٧)، يعني فأدخلهم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾^(٨)، يَعْنِي دَاخِلُونَ، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٩)، يعني ما دخلوها^(١٠).
- ((وراءهم))، قال مقاتل: «كل شيء في القرآن وراءهم يعني أمامهم»^(١١).
- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(١٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجْبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾^(١٣).
- ((يقطين))، قال مقاتل: «كل شيء ينبسط مثل القرع والكرم والقثاء والكشوتا ونحوها فهو يسمى يقطينا»^(١٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٧/٤.

(٢) سورة الذاريات الآية: ٢٤.

(٣) سورة النازعات الآية: ١٥.

(٤) سورة البروج الآية: ١٧.

(٥) سورة الغاشية الآية: ١.

(٦) سورة مريم الآية: ٧١.

(٧) سورة هود الآية: ٩٨.

(٨) سورة الأنبياء الآية: ٩٨.

(٩) سورة الأنبياء الآية: ٩٩.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٤.

(١٢) سورة الكهف الآية: ٧٩.

(١٣) سورة الإنسان الآية: ٢٧.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٣.

ولم ترد لفظة اليقطين في كل القرآن الا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقَاطِينٍ﴾^(١). وهي في قصة نبي الله يونس عليه السلام, في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقَاطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾^(٢).

(١) سورة الصافات الآية: ١٤٦.

(٢) سورة الصافات الآية: ١٣٩-١٤٨.

الخاتمة

- يعتبر مقاتل إماماً من أئمة التفسير، باعتبار أن تفسيره يعد أقدم تفسير كامل لكل آيات القرآن الكريم وصل إلينا وفي هذه منقبة لا يناع عليها، وهو تفسير جمع بين المأثور والمعقول.
- إن الجمع بين المعقول والمنقول قد ظهر واضحاً جلياً في كل صفحة من صفحات تفسير مقاتل.
- إن كلام العلماء واختلافهم حول توثيق مقاتل في جانب الرواية لا يمنعنا من إحياء تفسيره والإفادة منه، فهو أقدم تفسير كامل للقرآن وصل إلينا، ويكفيه ثناء الأئمة.
- الحذر في قبول الأحاديث التي يوردها مقاتل في تفسيره، فلا نقبلها إلا بعد التثبت من صحتها، أما جانب الدراية في تفسير مقاتل فهو البحر الزاخر، وهو فيه سابق غير مسبوق، ولو أهملنا تفسيره فإننا بذلك نهمل جانباً مهماً من تراثنا الفكري والحضاري، بل نهمل أول نتاج للتفسير العقلي، في وقت تتسابق فيه الأمم إلى الاعتزاز بماضيها وإلى إحياء تراثها.
- إن موضوع الكليات قد ظهر في وقت مبكر من خلال اهتمام الصحابة والتابعين بهذا الجانب من جوانب العلم المتعلقة بتفسير القرآن الكريم.
- لقد كان لمقاتل رحمه الله منهج رصين فيما يؤصله من كليات سار عليها في تفسيره، وقد حقق مقاتل الأسبقية والريادة فيما سطره في موضوع الكليات.
- التزام مقاتل في تفسيره بصيغة محددة في التعبير عن الكلية، وهي تصدير الكلية بصيغة (كل) الدالة على العموم.
- إن الاهتمام بهذا الجانب العلمي من جوانب التفسير؛ يدل على معرفة كبيرة باصطلاحات القرآن في ألفاظه وأساليبه.
- إن اهتمام العلماء بالكليات القرآنية سواء في الألفاظ أو الأساليب، له أهميته في توظيف هذه الكليات لبيان المعاني القرآنية، والترجيح فيما بينها عند الاختلاف، وكذا تصحيح بعض المعاني بناء على قاعدة الكليات.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١. الإتيقان في علوم القرآن/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٢. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ محمد بن سويلم (ت: ١٤٠٣هـ)، مكتبة السنة، الطبعة: الرابعة.
٣. إعراب القرآن وبيانه/ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، بيروت)، (دار ابن كثير دمشق بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.
٤. البرهان في علوم القرآن/ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
٥. تاريخ بغداد/ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م.
٦. تاريخ دمشق/ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
٧. التصارييف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه/ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، الناشر: الشركة التونسية للتوزيع، عام النشر: ١٩٧٩ م.
٨. التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٩. تفسير مقاتل بن سليمان/ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت:

١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ.

١٠. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم/ أحمد بن عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

١١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج المزي (ت: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

١٢. سير أعلام النبلاء/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.

١٣. صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٥. كليات الألفاظ في التفسير/ بريك بن سعيد القرني، مركز عالم الطباعة.

١٦. الكليات الشرعية في القرآن/ الدكتور حسن حريفي، دار ابن القيم، دار عفان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢/٥١٤٢٣ م.

١٧. المشترك اللفظي في الحقل القرآني/ عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٧.

١٨. المصباح المنير / أحمد بن محمد الفيومي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية بيروت.

١٩. معترك الأقران في إعجاز القرآن/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م.

٢٠. معجم مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م.

٢١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/ عبد الله بن يوسف بن هشام (ت: ٧٦١هـ), المحقق: مازن المبارك, دار الفكر دمشق, الطبعة: السادسة ١٩٨٥.
٢٢. وفيات الأعيان/ شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت: ٦٨١هـ), المحقق: إحسان عباس, دار صادر بيروت.

